قضايا الرواية العراقبة الحديثة في الفترة من 1990م وحتى 2011م

إعداد

فاطمة حسن محمد الماوردي

باحثة دكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية البنات جامعة عين شمس

إشراف

أ.د.م/بسمة محمد بيومي

أستاذ الأدب والنقد الحديث المساعد

بقسم اللغة العربية

أ.د/ مصطفى إبراهيم الضبع

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

بكلية دار العلوم(جامعة الفيوم)

ملخص الدراسة:

استهدف البحث دراسة قضايا الرواية العراقية الحديثة، الصادرة في الفترة من 1990 وحتى 2011، وذلك من خلال التحليل النقدي للروايات العراقية الصادرة في تلك الزمنية، والتي تضمنت تلك القضايا،وتمثلت في: قضية الحصار والغزو الأمريكي، قضية العنف، قضية الصراع الحضاري، وتأثيراتها على المجتمع العراقي بعامة، والشخصية العراقية بخاصة، وتجلت تلك القضايا في عدة روايات، وهى:
غايب، حليب المارينز، قيامة بغداد، مجانين بوكا، أموات بغداد، الغبار الأمريكي، كم بدت السماء قريبة.

الرواية العراقية واحدة من أهم الروايات التي انشغلت بها الساحة الأدبية، المحلية والعربية، فقد لفتت أنظار الكثيرين من الدارسين والنقاد، الذين سعوا جاهدين لمعرفة أصول تلك الرواية، ونشأتها، وازدهارها، وربما – أيضا- نكستها.

يذهب بعض النقاد والباحثين إلى أن رواية "جلال خالد" للروائى "محمود أحمد السيد" التي خرجت إلى النور في عام 1928م هى أول رواية عراقية[1] ، والبعض الأخر يرى أن رواية "الدكتور إبراهيم" [2] التي كتبها الروائى "ذو النون أيوب" هى أول بواكيرها، والحق نقول: إن تلك الروايتين كانتا شرارة الانطلاق للرعيل الأول من كتاب الرواية العراقية، فاستطاع جيل الثلاثينيات أن يكمل مسيرة انطلاقها، عبر أشهر أقلام كتابها في ذلك الوقت، مثل: عبد الحق فاضل، شالوم دروس، أنور شاؤل، إضافة إلى محمود أحمد السيد، وذو النون أيوب، -كما ذكرت آنفا- ذلك الجيل الذي استطاع أن ينزع ثوب الرومانسية الخالصة الذي تميزت به الرواية العراقية آنذاك، وارتدى ثوب الواقعية الذي استعان بشخصيات رواياته من واقع المجتمع العراقي، بكل همومه، وعاداته، ومآسيه التي كابدها خلال الحرب العالمية الثانية، فصور عبر تقنياته، وأدواته الفنية ما عصف بالمجتمع العراقي وقتها من أزمات طاحنة؛ إلا أن تلك الانطلاقة لم يستطع الجيل التالي لها الاحتفاظ بجذوتها، ووهجها، وهو عكس ما كان متوقعًا، ويعود ذلك لعدة أسباب، أهمها:

1- الحرب العالمية الثانية، والتي أضعفت بدورها الإقبال على القراءة الأدبية.
2- الإغراق في الواقعية، والمبالغة الشديدة بها، التي حولت الرواية من عمل فني يقوم على مقومات وأسس فنية، إلى مجرد خاطرة، أو مقالة مطولة ، تحاكى الواقع العراقي آنذاك، بصورة تخلو من الفنية والخيال، مما ترتب عليه ضياع التقنيات، والملامح الفنية لذلك الفن .

(1) د.عبد الإله أحمد: الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية (اتجاهاته الفكرية وقيمه الفنية- الجزء الأول)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، صـ17
(2) د. حمدى السكوت: الرواية العربية(ببليوجرافيا ومدخل نقدي(1865-1995)،المجلد الأول، مقدمات ومدخل نقدي، قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة- نيويورك، صـ161.

حملت الرواية العراقية - بشكل خاص- على عاتقها عبء تصوير ما مر به المجتمع العراقي لسنوات طوال، بداية من عهد تحول نظام الحكم الملكي إلى الجمهوري في الرابع عشر من يوليو 1958[3]، مرورًا بحكم الرئيس العراقي(صدام حسين) [4] ، ثم صدور قرار الأمم المتحدة بفرض الحصار الدولي على العراق، انتهاءً بغزو أمريكا للعراق في مارس 2003م.

خلّفت تلك الأحداث الجسام وراءها وقائع، ومواقف لن تمحى من ذاكرة المواطن العراقي، كما خلفت –أيضًا- إبداعات أدبية تضاهي في تسجيلها للأحداث سجلات التاريخ العراقي الحديث، وما كان لفن آخر غير الفن الروائي أن يصبح جديرًا بنقل ورصد كل تلك الأحداث، كما اشترك الروائي العراقي داخل العراق وخارجه - من أبناء المهجر- في عملية الرصد الإبداعي لتلك الوقائع التاريخية، وإن اختلفت الرؤى والمضامين التي منحتنا نتاجًا روائيًا غزيرًا.

مثلت الرواية العراقية العديد من القضايا، والموضوعات التي أبدع الروائي العراقي في سردها، وبيانها، سواء أكان العرض مباشرًا واضحًا، أم رمزيًا متخفيًا في طيات الحكي، وهى قضايا تتميز بالخصوصية، والتفرد، بفعل التجربة السياسية العراقية التي أضفت ملامحها الخاصة على الكتابة السردية العراقية، ومن أهم تلك القضايا التي قدمها الروائي العراقي في سرده:

- قضية الحصار والغزو الأمريكي.
- قضية العنف.
- قضية الصراع الحضاري.

أولًا: قضية الحصار والغزو الأمريكي:

في الثاني من أغسطس في العام 1990م، قرر الرئيس العراقي السابق(صدام حسين) غزو الكويت، متعللاً بسرقة الكويت للنفط العراقي تارة، وعراقية الكويت تارة أخرى، استغرق الهجوم عدة أيام لينتهي بفرض سيطرة الجيش العراقي على الأراضي الكويتية بأكملها، وشكل حكومة (صورية) برئاسة العقيد(علاء حسين)، وذلك في الرابع من شهر أغسطس 1990م، وحتى الثامن

([3]) ثورة يوليو 1958م، وهى التي أطاحت بالمملكة العراقية الهاشمية التي أسسها الملك فيصل الأول، وعلى إثر تلك الثورة تمت الإطاحة بالملك (فيصل الثاني)، وعائلته، وولي العهد عبد الإله، ورئيس الوزراء نوري السعيد، واغتيالهم، وبناءً عليه تأسست الجمهورية العراقية، وحكم العراق الحزب البعثي من 1958م حتى عام 2003م، وانتهى الحكم بدخول القوات الأمريكية غازية للعراق.

للاستزادة ينظر كتاب: تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي، تأليف: عبد الرازق الحسيني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، 1990م.

([4]) صدام حسين: هو صدام حسين عبد المجيد التكريتي، ينتمي إلى عشيرة (البيجات)، ولد في 28 إبريل 1937م، وأُعدم شنقًا في 9 إبريل 2003م، قبل توليه رئاسة العراق تولى منصب نائب رئيس جمهورية العراق، ورئيس مكتب الأمن القومي العراقي بحزب البعث العربي الاشتراكي في الفترة بين 1975م، وحتى 1979م، حيث لعب دورًا رئيسًا في انقلاب حزب البعث (17 يوليو 1968م)، والذي من خلاله تم تعيينه كنائب للرئيس البعثي (أحمد حسن البكر)، كما دخل في حرب مع إيران استمرت نحو ثماني سنوات من 22 سبتمبر 1980م، وحتى 8 أغسطس 1988م، وفي عام 1990م تحديدًا الثامن من أغسطس قام بغزو الكويت، مما أدى لنشوب حرب الخليج الثانية في العام 1991م، وبعد ذلك دخل العراق سنواته العجاف بقرار الأمم المتحدة بحصاره دوليًا، لينتهي ذلك الحصار في عام 2003م بدخول القوات الأمريكية (بغداد) واحتلالها، وتقديم (صدام حسين) للمحاكمة على ما انتهكه من جرائم في حق شعبه، وجيرانه، ليطوى سجل هذه الشخصية في 30 ديسمبر 2006م؛ إثر تنفيذ حكم الإعدام بحقه.

.

من الشهر نفسه، تحت اسم(جمهورية الكويت)، واستمر الاحتلال العراقي للكويت قرابة سبعة أشهر، وانتهى بتحريرها في 26 فبراير 1991م.

وفي غضون تلك الأحداث السريعة، المتلاحقة، أصدر مجلس الأمن في السادس من أغسطس سنة 1990 قراره بفرض عقوبات اقتصادية على العراق؛ عقابًا له عما انتهكه بحق دولة مجاورة، عوقب شعب العراق بأكمله بهذا القرار الدولي، ومرت سنوات ذلك الحصار على العراق مرور العاصفة، التي لم تبق شيئًا في طريق العراقي إلا واقتلعته، وفي ظل تلك الأحداث تجرع العراقيون مرارة الحاجة، والشعور بضيق اليد، وفقد أدنى مقومات العيش في عراق الحصار.

رصدت الرواية العراقية في عرضها لأزمة الحصار الاقتصادي الدولي عدة أزمات عصفت بالفرد العراقي، كان أهمها: (تدني الوضع المعيشي للأفراد)؛ الذي أثر بدوره على جوانب عدة في حياة المواطن العراقي، فالوضع المعيشي الجديد الذي رافق العراقي كان جديرًا برصده من جانب المبدع/الإنسان؛ فـ" الأديب أو الفنان يجب ألا يعيش في المجتمع ككائن طفيلي، أو شاذ، أو جبان، أو هارب، أو سلبي، أو مهرج ممسوخ، ولكن عليه أن يؤدي ضريبته، وأن يتحمل جانبًا من مسئولية المعارك التي يخوضها الوطن والشعب، وأن عليه المشاركة في تنمية الوعي لدى الجماهير القارئة، وأن يسهم في حل مشكلاتها، وأن يدفع بها إلى النضال في سبيل طريق جديد ومستقبل أرغد، إنه أصبح مطالبًا بتحويل أدبه إلى قوة فعالة تتأثر بحياة الشعب فتؤثر فيه، وتعيينه على رفع مستواه الفكري والمادي[5]؛ وقد تجلت تلك القضية في عدة روايات، منها: (غايب)، (حليب المارينز) و(قيامة بغداد).

ففي رواية (غايب) لــ (بتول الخضيري[6])عرضت الكاتبة حياة أسرة عراقية متوسطة الحال، أفرادها هم: الزوج، الزوجة، ابنة أخت الزوجة، على مدار السرد الروائي تتخذ الكاتبة من المقارنة بين حال العراقيين قبل الحصار، وحالهم بعده مادة غنية لإظهار مدى ما لحق بالعراقي جراء اقتطاع العراق من العالم، وعزله بفعل الحصار، فأبسط مقومات المعيشة (الكهرباء) " ستنقطع بعد قليل لمدة ثلاث ساعات، زوج خالتي يرفض أن يشتري أمبيرات من أصحاب المولدات الخاصة؛ سعر الأمبير الواحد المعروض في السوق حاليًا ألف دينار، عشر أمبيرات تشغل المراوح فقط، والأربعون أمبيرًا يشغل الثلاجة والتلفزيون، وربما مروحة واحدة، كلما كانت خالتي تشغل مجفف شعرها كان المصعد يتوقف بين الطوابق، فينادى أحدهم:
يابيت (أبو غايب) طفوا السشوار الله يخليكم، عصينا "[7]

كان انقطاع الكهرباء المستمر أكثر ما ميز (عراق الحصار) في فترة التسعينيات، فلم يعد بمقدور العراقي الحصول على ما يريده من الكهرباء أكثر من ساعات معدودات يستطيع بها قضاء - بعض- حاجاته، وبذلك أضحت الكهرباء عزيزة على العراقيين، تنبض بوجودها الحياة، وتزهق بدونها روح العراق، وتغرق في الظلمات حتى تعود ثانية، واضطر العراقيون لمسايرة الوضع الجديد، والتكيف معه لشراء(الكهرباء)، ومولدات كهربائية تعوض حرمانهم منها وقت انقطاعها، مما أشعر العراقي بالظلام والاستنزاف المادي والروحي طيلة الوقت؛ كما رصدت الكاتبة في روايتها (غايب) عدة أزمات، كل أزمة نالت الكثير من روح العراقي وفكره، ودمه

([5]) د. سيد حامد النساج: الأدب العربي المعاصر في المغرب الأقصى، دار سعاد الصباح، القاهرة، الطبعة الثانية، 1992م، صـ555.

([6]) بتول الخضيري: ولدت في بغداد عام 1965، وحصلت على بكالوريوس الأدب الفرنسي من الجامعة المستنصرية، تعيش حاليًا في عمّان، رواياتها: كم بدت السماء قريبة 1999م، وغايب 2004م

([7]) بتول الخضيري :غايب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 2004،صـ11.

أيضًا، فاضطر- بعض- العراقيين في ظل الحصار إلى تغيير مهنهم؛ لعدم مقدرتها على سد الرمق، فنرى "الزوجة" ـ خالة البطلة- وزوجها يغيران مهنتيهما ، ويمتهنان مهنًا أخرى تكاد تكفي حاجتهما، فـــ" الخالة " قبل أن تصبح خياطة "كانت معلمة ابتدائية للأعمال اليدوية. وبعد أن كان أبو غايب موظفًا في وزارة السياحة ورسامًا هاويًا، أصبح متقاعدًا محترفًا، مثل بقية زملائه"[8] إثر ذلك دخل " زوج الخالة" في مشروعات قلما تنجح وتعود عليه بالنفع، حتى استقر به المقام بتجارة عسل النحل " سيشتري سلالة من النحل، سيربيها لنعيش من عسلها "[9]

حتى المهن التي من المفترض أن تدر دخلًا مربحًا لأصحابها أغلق أصحابها أبوابها، واستبدلوها بأخرى لن تبور؛ فـ" اللحام " أحد شخصيات رواية (غايب) الذي " فتح محلًا صغيرًا ليس بعيدًا عن عمارتنا "[10] كان " مهندسًا لم يجد عملًا فقرر أن يبيع اللحم، قال لي إن معظم المشاريع الهندسية قد جمدت، لعدم وجود وسائل الصيانة "[11]، ومن أخطر الأزمات التي عرضتها بتول الخضيري في الرواية نفسها أزمة (نقص الدواء)؛ فالحظر الدولي الذي وقع على العراق، وشعبه أوقف استيراد (الدواء)، وسلعًا أخرى أثّرت على صحة المواطن العراقي، وجعلته يستخدم الآخر المحلي ـ البديل ـ لهذه الأدوية ذات المفعول الضعيف مقارنة بالمستورد ـ المحظور- ، ويظهر ذلك في الحوار القادم بين البطلة " دلال " وجارها العم "سامي":

" مد يده في القفص يحاول أن يلتقط إحداهما، فظلت أصابعه تلعب على أرضية القفص باحثة ما بين شعب الفأرتين، تخبطت يده على الحديد كأنها يد رجل أعمى تبحث في ظلمة، فجأة شهقت : " إنه أعمى بحق"، في تلك اللحظة صاد(مخيخ) من ذنبه الوردي، ووضعه في حضنه، راح يمسد له رأسه مثل صديق عزيز، قال:-إنه مرض السكري، والأنسولين لم يعد متوفرًا في البلد حتى ضرب المرض عيني، لم أعد أستطيع أن أميز الألوان، صرت أرى الأشياء خيالات، من أسود وأبيض فقط، أى لون تريدين يا دلال؟"[12].

لم تتبدل أحوال العراقيين الاقتصادية والمعيشية فقط جراء الحصار، لكن تبدلت ـ أيضًا- طريقة تفكيرهم، ومعالجة مشاكلهم، فحلت (الخرافة والجهل) محل(العلم)، وبظهور شخصية " أم مازن " في الصفحات الأولى من الرواية تتجه أنظار ساكني العمارة نحو تلك الشخصية، يلتمسون من خلالها الدواء(البديل) لذاك الآخر غال الثمن، نادر الوجود، و" بمرور الزمن لم تعد عمارتنا عمارة الأساتذة، بل أصبح الناس يطلقون عليها عمارة أم مازن"[13]، وتتعدى شهرة (أم مازن) وعلاجها للحالات المستعصية حدود العمارة، وتصل للأحياء المجاورة، ويأتي الزبائن لها من كل حدب وصوب، فتلجأ إليها الزوجات اللاتي عزف رجالهن عنهن؛ علها تعرف العلة وراء ذلك العزوف، فوصفت لهم(وصفات) بديلة، كما نرى في الحوار القادم بين (أم مازن) وإحدى السيدات:

" طلبت من شاربة الفنجان أن تنفخ فيه، وتذكر الموضوع الذي جاءت من أجله، قامت أم مازن بوضع يدها على الفنجان لتحبس فيه همسات السيدة، اختفى الفنجان تحت يد(مدببة)، وكانت الرصعات ما بين الأصابع تجعلها أشبه بيد مراهق سمين.

([8]) المصدر السابق: صـ12.
([9]) المصدر السابق: صـ66.
([10]) المصدر السابق:صـ127.
([11]) المصدر السابق: صـ127.
([12]) غايب: صـ76.
([13]) المصدر السابق : صـ35.

فتحت فمها:

-يقول الفنجان إنك تعبانة من موضوع خاص له علاقة بزوجك، إنه لم يعد يقترب منك أو يتقبلك، صحيح؟

سارعت السيدة تجيبها:

-صحيح جدًا. ماذا أفعل؟

-يجب أن تصبري؛ فهذه ليست أول مرة يرفضك فيها زوجك.

السيدة تنفعل:

-كان رائعًا معي حتى ضيق علينا الحصار، بعد ذلك أخذ يهملني تمامًا، عندما أكلمه يدير وجهه إلى الجهة الأخرى.

سألتها أم مازن بنبرة جدية:

-هل جربت حجاب المحبة؟

.....

-مشكلتك سهلة ولا داعي لطرق أبواب السحرة، الفنجان يريني إناء من شاي معتق وقطرتين من لبن حامض، هذه هى رائحة نفسك، متى هى آخر مرة قمت فيها بتفريش أسنانك؟

أحنت السيدة رأسها بخجل:

المعجون غال يا أم مازن، المستورد مستحيل، والمحلي مثل دهن السيارات"[14].

يلاحظ من الحوار السابق معرفة المرأة (صاحبة المشكلة) علة عزوف زوجها عنها؛ وذلك من خلال وصف السارد لها بعبارة (أحنت السيدة رأسها بخجل)، ومعرفة السيدة ـ كذلك ـ العلاج، لكن ارتفاع سعره هو ما جعلها تذهب لـ" أم مازن" علها تصف لها وصفة أرخص سعرًا.

وتطرقت بتول الخضيري في رواية (غايب)-أيضًا- لمشكلة المرأة التي توفى عنها زوجها، أو أسر في الحرب، فعرضت احتياج المرأة العاطفي للرجل في ثنايا الرواية، وهى مشكلة خطيرة، ما كان للكاتبة أن تغض الطرف عنها، كما يبدو في الحوار القادم بين "دلال" و"خالتها" :

" الوحدة صعبة يا دلال، الحروب خطفت الكثير من الرجال، زبوناتي يشكين من ذلك، إحداهن اعترفت لي أنها لشدة وحدتها تحب أحيانًا أن تتخيل أن ستارة غرفة نومها عندما تعبث بها نسمة هواء تصدر حفيفًا هادئًا يجعلها تغمض عينيها؛تتخيل أن هذا الحفيف دشداشة زوجها القادم في ظلمة الغرفة إلى فراشها، مع العلم أنه توفي قبل سنوات عديدة "[15].

مشكلات عديدة، اقتصادية، اجتماعية، إنسانية، قدمتها الكاتبة (بتول الخضيري) في روايتها (غايب) وهى ـ وإن كثرت، وتعددت ـ فلن تصف إلا القليل من حياة شعب بأكمله، ومعاناته مع سجن الحصار.

انتهت سنوات الحصار الدولي على العراق بقرار أشد وطأة، وصعوبة على العراقي، فما كان للحصار أن ينتهى دون دخول (الجيش الأمريكي) العراق في العشرين من مارس 2003م، وتمكنت أمريكا بوسائلها المشروعة، وغير المشروعة من إقناع – بعض دول العالم- بامتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، ورغم تقارير المفتشين الدوليين التي أكدت خلو العراق من هذه

([14]) المصدر السابق : صـ44.

([15]) غايب : صـ52.

الأسلحة، استطاعت أمريكا إقناع الكثير بوجود علاقة قوية بين النظام الحاكم بالعراق، وتنظيم القاعدة الإرهابي، الذي نال من أمريكا بضرب برجي التجارة العالميين في العام 2001م، هذا الحدث الذي اتخذت منه أمريكا ذريعة قوية لتغيير خارطة العالم (العربي) تحديدًا.

احتلت القوات الأمريكية العراق بشكل مفاجئ، وسريع، بدأ أولًا بدخول تلك القوات أطراف العراق، ومقاومة الجنوب لها، وذلك في العشرين من مارس 2003م، وفي غضون الشهر سيطرت أمريكا على العراق بكامله بسقوط (بغداد) عاصمة الرشيد، دون قتال، لتطوى بذلك سنوات الحصار، والديكتاتورية، وتبدأ سنوات الاحتلال والدم.

أحدث الاحتلال الأمريكي للعراق انقلابًا، وتغييرًا على الصعيدين الغربي والعربي؛ فالغرب ما كان له أن يشترك في صفقة احتلال العراق دون أن يضمن نصيبه من خيرات العراق، فباتت التركة العراقية موزعة على أمريكا، وبريطانيا، والدول الأخرى التي أيدت القرار الأمريكي بغزو العراق، أما التغيير العربي فكان على مستويين، عام وخاص، (العام) يكمن في إدراك رؤساء، وزعماء البلاد العربية الدرس الذي دفع ثمنه العراقيون من دمهم، وحريتهم، والتمثيل بقادتهم، و(الخاص) بتغيير تفكير العراقي، ونظرته للأمور، وضرورة مسايرته لتلك الأوضاع الجديدة، والتعايش معها، وما كان للروائيين ـ آنذاك- إلا أن يسجلوا في رواياتهم ما آلت إليه الأوضاع السياسية بالعراق؛ فسجل الروائي العراقي كل ما مر على العراق من أحداث متلاحقة، تارة بعين الأسف على ما مضى، وتارة أخرى بعين الرضا، ولا شك أن الانتماء السياسي والحزبي للأفراد، ومدى قربهم أو بعدهم عن السلطة الحاكمة، وبطش الحاكم بالمحكوم أو ثنائه عليه هو ما جعل نظرة المبدع العراقي تختلف من روائي إلى آخر، واختلف مع تلك النظرة الرؤية والمضمون.

صَدَّرَت روايات تلك المرحلة الزمنية (1990م: 2011م) للقارئ العربي- على اختلاف جنسه وموطنه- صورًا، وقضايا عديدة ما كان للمبدع أن يتجاهلها، أراد من خلالها أن يرسل رسالته الاحتجاجية للعالم أجمع، واستطاع الكثير من الروائيين العراقيين أن يجوب العالم بفنه، وأدبه؛ وذلك عن طريق مهاجري العراق، ومبدعيه القاطنين في دول العالم الغربي، أو من خلال نزوح من العراقيين للدول العربية المجاورة، فأخذت الرواية العراقية بالانتشار في جميع الأقطار، وجابت دول العالم طولًا وعرضًا، شرقًا وغربًا، وأصبح لها وجود، ومكانةً لا يستهان بهما، عقب ما لحقها من جمود وثبات بفعل الحصار و ظروفه.

قدم الروائي العراقي (قضية الغزو الأمريكي) من خلال مواقف وأحداث عايشها العراقي، سواء أكان داخل العراق أو خارجه، من خلال ما تناقل إلى سمعه بفعل وسائل الإعلام، والصحافة، أو ما تداوله العراقيون المهاجرون من العراق للدول القاطن بها مبدعو العراق، وقد آثر بعض الروائيين العراقيين طرح فكرة فهم الغرب، وإدراكه لأطماع أمريكا بالمنطقة العربية، والعراق على وجه التحديد، وقد قدم الروائي (عواد علي[16]) في روايته (حليب المارينز) وجهة النظر تلك من خلال شخصية " نتالي" الصديقة الفرنسية للأسرة العراقية حينما أعربت عن رأيها في موقف أمريكا من حربها على العراق، تقول " نتالي" :

([16]) عواد علي: ناقد وروائي عراقي، يحمل الجنسية الكندية، حاصل على شهادة الماجستير في المسرح من جامعة بغداد 1990م، ويقيم في عمّان، صدرت له رواية حليب المارينز في عمّان 2008م، وله عدة دراسات نقدية في المسرح، منها: المألوف واللا مألوف في المسرح العراقي، شفرات الجسد جدلية الحضور والغياب في المسرح، ودراسة نقدية في الرواية بعنوان: دراسات في الرواية العربية (بالاشتراك مع آخرين).

" إن الاحتلال كان سيقع في جميع الأحوال؛ لأن أميركا حين ترسل جيشها إلى مكان ما لا ترسله للنزهة، ولو حدث أن تخلى الرئيس عن السلطة، وترك البلد للجأت إلى إشعال نزاعات دموية بين مكوناته لتسوغ لنفسها احتلاله، إلا أن عشتار كان لها رأي آخر، فقالت:

-أنا لا أتفق معك، بل ربما كانت ستشكل حكومة عميلة لها تحقق أهدافها.

-أنتِ إذًا لا تعرفين أمريكا جيدًا، انظري إليها ماذا تفعل الآن في بلدكم؟ لماذا تترك أعرق رموز حضارتكم للنهب والتدمير، إن لم يكن لها يد في ذلك أصلًا؟ ثم تأتي لتقول ببراغماتية سخيفة: إن أعمال النهب مرفوضة، وهى رد فعل طبيعي لسنين من القمع!!!

قلت:

-هل هذا يعني أن أميركا وحدها تتحمل جريرة ما يحدث من فواجع؟

-خذها عن لساني يا سامر إن المارينز لم يدخلوا بغداد حاملين مشعل الحرية، ولم تذهب أميركا إلى العراق كي ترضع شعبه من ثديها المدرار بالحليب المجاني، بل لتهبه صندوق باندورا المشؤوم"[17].

يكشف الحوار السابق بين عراقي المهجر، والأصدقاء الغربيين مدى إدراك الغربي، والعربي لما يمر به العالم من أحداث تجعله لا يكتفي بالمشاهدة وحدها، لكنه يرصد، ويحلل ـ أيضًا- ما تناقلته حواسه، إذ لم يغفل الروائي العراقي حدثًا أو موقفًا إلا وسارع بخطه في روايته، فكانت أولى مشاهد الغزو الأمريكي للعراق متمثلة في" حل الجيش العراقي"؛ وذلك حتى يسهل الأمر على الغازي الأمريكي، ويتمكن من بسط سيطرته على أرض العراق، هذا المشهد نراه في رواية (قيامة بغداد) للروائية (عالية طالب الجبوري[18]) والتي دونت في روايتها يوميات صحفية، وأسرتها عايشت الحصار والاحتلال الأمريكي لبلادها، ومرت بما مر به العراقي داخل العراق، واضطراره نهاية الأمر ترك العراق، وهجرته لبلد عربي آمن، يستطيع من خلاله إيصال أصوات العراقيين الجريحة للعالم، فتسرد بطلة رواية (قيامة بغداد) ما لحق بالجيش العراقي جراء الاحتلال الأمريكي له قائلة:

" كان الجيش العراقي كثيرًا ما يقوم بتمرينات القفز للنهر من فوقه، وفي الشتاء القارص البرودة كنت أشهد قفز الشباب المجندين إليه، وتجمع أهلهم تحت الجسر ليشهدوا كيف يصبح أبناؤهم أبطالًا، وكلما رأيت ذلك التدريب كلما كانت دموعي تنزل من شدة التأثر، ولم أكن أدري وقتها أنني كنت أبكي فقدانهم وتلاشيهم وإقصائهم من وجودهم كجيش حقق منجزات لا تحصى، بمعارك عربية، وإقليمية، ومصيرية، ثم ركنه "بريمر" القائد الأمريكي المحتل، واعتبره جيشًا ينبغي القضاء عليه لأنه مرتبط بالنظام السابق، ولابد من حرق كل مراحل ذلك النظام، وكل مؤسساته العسكرية والأمنية، فكك الجيش الأمريكي معسكرات الجيش العراقي بكل ما تحتويه من ثروات وأجهزة ومستشفيات ومعدات متطورة، وحولها إلى خردة مبعثرة على قارعة الطرق إمعانًا في إذلالنا، وإشعارنا أن لا جيش لديكم ليدافع عنكم، ألغى "بريمر" وزارتي الدفاع

---

[17] عواد علي: حليب المارينز، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى،2009 ،صـ46.

([18]) عالية طالب عقيل الجبوري : مواليد بغداد، بكالوريوس إنكليزي - جامعة بغداد- ، لها العديد من الإصدارات الأدبية المتنوعة، ومنها: الممرات (مجموعة قصصية) دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد1989،م، أم هنا - أم هناك (رواية) دار الحرية للطباعة ، بغداد، 2001م، الوجوه (رواية) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 2002م، بحر اللؤلؤ (مجموعة قصصية) ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2006م، امرأة في العراء(مجموعة قصصية) دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2004م، قيامة بغداد (رواية)، دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة ، 2008، يوميات من المنفى (رواية) دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ،2010م.

والإعلام، واعتبرهما وزارتين تشكلان تهديدًا حقيقيًا للاحتلال، وضاعت حقوق جميع منتسبي الدفاع والداخلية والأمن والاستخبارات والمخابرات والإعلام، آلاف العوائل لم تعد تدري ماذا تفعل وكيف تعيش "[19].

افتتحت " الساردة " حديثها عن الجيش العراقي بتصديرها لمشاهد تدريبه، وقوته، من خلال وصف(تمرينات القفز) فوق النهر، وبيان مدى فخر العراقيين بأبنائهم المنتسبين لهذا الجيش القوي من خلال (تجمع أهلهم تحت الجسر ليشاهدوا كيف يصبح أبناؤهم أبطالًا)، وكان حتمًا على الكاتبة تصدير حديثها عن جيش عراقها بتلك العبارات القوية، قبل الدخول في تفاصيل ما آل إليه الجيش العراقي حديثًا؛ وفي هذا التصدير تأكيد على حمل الروائي العراقي رسالة ضمنية داخل سرده ينقلها بفنه للعالم أجمع، وقد تطرقت الساردة في عرضها لاستخدام أمريكا (السلاح النفسي) في تعاملها مع العراقيين، وذلك حينما ألقت القوات الأمريكية بـ" الخردة المبعثرة على قارعة الطرق"، ولعل ما يثير انتباه القارئ في الفقرة السابقة إيثار الساردة استخدام (نا) الجمع والملكية في الآن ذاته، متمثلة في: (إذلالنا، إشعارنا) وفي هذا تأكيد على أحادية العراق، وأنه لا يزال كتلة واحدة (تجمع) أطيافه جميعًا أولًا، والاعتداد، والاعتزاز بالجيش العراقي السابق، حتى وإن أمسى خردة مبعثرة لا تنسى بطولاتها ثانيًا.

ولم يقتصر الأمر على استخدام أمريكا (السلاح النفسي) – فقط – من قبل المحتل الأمريكي؛ فاستخدمت في حربها – غير المتكافئة – أسلحة محرمة دوليًا، ولم يحرك العالم ساكنًا تجاه ما يحدث من جرائم – يوميًا – بحق الإنسانية، وتفيض الساردة – في الرواية نفسها – الحديث عن أوضاع العراق الذي آل إليه بفعل الاحتلال، قائلة:

" انتشرت أمراض سرطانية عجيبة، وأمراض أخرى بيننا، والأسباب نعرفها جيدًا، لكن ضمير العالم يسكت عنها، ولا أحد يسأل أمريكا عن كل الأسلحة المحرمة التي قصفنا بها، والتي بحجتها دمر بلدنا، لكي يبحثوا عنها لدينا، وحتى حين أعلن رسميًا عدم وجودها لم يسأل ضمير العالم ولم يحاسب أحد بريطانيا ولا أمريكا، ولا كل من تجحفل معهم من دول أوروبية وعربية، لماذا فعلتم هذا إذن بالعراق؟ وإن كانوا يريدون تبديل النظام فلماذا يدمرون بلدنا إذن؟ لماذا يزرعون الفتنة إذن؟ ولماذا ينشرون الموت والإذلال؟ ولماذا ماتت أختي بالسرطان ـ وهى في مقتبل عمرها ـ دون أن تجد دواءً أو رعاية تكفل لها علاجًا يشفيها؟ كانت نادية أصغرنا، وبقيت تصارع مرضها بصمت وإيمان وهى تودع صغارها بنظرات حنونة، وحين ماتت ماتت بهدوء كما تحملت أوجاعها بهدوء حملناها إلى كربلاء، ونحن لا ندري إن كنا سنعود من هناك أم لا"[20].

أعدت أمريكا، والدول الصديقة لها وعلى رأسها بريطانيا عدتهم لغزو العراق، وهيأت الفرصة لاستباحته، ولم تقتصر السرقة، والنهب على الأملاك(العامة) الوطنية فقط، بل تعداها إلى القصور، والبيوت التي تركها أصحابها بعدما دخلت القوات الغازية العراق " فتحت أبواب تلك البيوت للعامة، تدعوهم لدخولها وسرقتها، ودخل من دخل من أفراد، عاشوا طوال حياتهم محرومين من رؤية وتملك وتلمس معنى الترف الحقيقي، سرق المحرومون مقتنيات المسؤولين وشركاتهم ودوائرهم ومكاتبهم بمباركة أميركية، فيما تقف الدبابات بأبواب تلك الأماكن لتهيئ

---

[19] عالية طالب الجبوري : قيامة بغداد، دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008م، صـ20، ص21.

([20]) قيامة بغداد : صـ123، صـ124 .

للمحرومين عملية سرقة منظمة ومحروسة من قبلهم، وتلتقط وسائل الإعلام الغربية المرافقة لتلك القوات صورًا حية لهذه الظاهرة، وتصورها وتبثها لكل العالم لتقول: هذا هو العراقي، انظروا ماذا يفعل، وكيف أغفل وجود الاحتلال في مقابل أن يحتل هو أملاك وقصور النظام السابق، ودخل السارقون إلى غرف نوم المسؤولين، وإلى القصور الرئاسية، ونهبت ملابس الوزراء، ورئيس ذلك النظام، وتباهى من لبسها أنه يلبس حلة الرئيس السابق أو الوزير الفلاني، وبدأت الشعارات تعلو أسيجة تلك الدور وهى تقول(عاد الحق لأهله)[21].

لم تستثن الساردة أحدًا في جرائم النهب، والسرقة التي لحقت بالعراق وأهله؛ فبعض العراقيين اشتركوا في تلك التجاوزات المخطط لها مسبقًا بمباركة أميركا، مهيئة الفرصة لتلك الممارسات المقصودة؛ للتشهير بالعراقيين أمام شاشات التلفاز العربية، بهدف: تحول نظرة التعاطف، والشفقة تجاه العراقيين إلى أخرى مخزية، متدنية أولًا، ثم إبلاغ رسالة للعالم أجمع مفادها أحقية هذا الشعب مما يحصده من أفعال، وممارسات حاكميه في السابق ثانيًا، وأخيرًا التقليل من قيمة العراقي أمام ذاته، وإشعاره من خلال النقل المباشر لتلك السرقات، والنهب بدنو مكانته، وذهاب هيبته وعزته.

ثانيًا: قضية العنف:

لا يُعدّ العنف مصطلحًا حديثًا، واردًا على ثقافات الشعوب؛ فمنذ بدء الخليقة شهد الإنسان جرائم عنف، ووحشية أنهت عليه وعلى ذويه، فمن منا لا يذكر قصة ولدي آدم عليه السلام، وبلوغ العنف أقصى صوره حينما استباح الأخ دماء أخيه، وروحه، وتكرر الحدث نفسه مع أبناء يعقوب عليه السلام، حينما ألقى الإخوة بصغيرهم في غيابات الجب، وبيعه بعدما أرادوا قتله، وما شهده العرب الأوائل من أعمال عنف، واقتتال لعقود طوال، وصراعات دول أوربا في عصورها الوسطى المظلمة، وما تخلل تلك الصراعات من أعمال عنف دامية، وعنف تلك الدول-نفسها- مع شعوب العالم العربي، ورغبتها في السيطرة، والهيمنة، وما صاحب ذلك من انتهاكات، وتجاوزات نالت من الإنسان، وإذا أمعنا النظر في تلك الجرائم، وأسبابها، وما تضمنته من عنف، وتجاوزات- مادية ومعنوية ـ لوجدناها تقوم في أساسها على الاستحواذ لكل ما يمتلكه الآخر، ونظرته الدونية الاستعلائية التي حصرت كل تفكيره، وآماله في (الهيمنة) على ما لا يملكه الآخر، وفعل كل ما يخرج من يديه مشروع وغير مشروع في سبيل الحصول على ما يريد.

لم يكن الغزو الأمريكي للعراق البدايات الأولى لـ " العنف " المشهود في بلاد الرافدين؛ فأول ما طبع في ذاكرة الفرد العراقي من مشاهد للعنف كانت مشهد "استشهاد الحسين " عليه السلام بمدينة كربلاء، والصراع على الحكم، وطغيان الحجاج، وحكم المنصور بالدم والنار، والرشيد وعنفه مع البرامكة أصحاب النفوذ والطموح، وصراع أبناء الرشيد حول الحكم، وجرائم هولاكو وتيمور لنك المدونة في كتب التاريخ ولا ينكرها منكر.

وحديثًا، كانت حصة العراقي من (العنف) تكفيه، وتفيض عن حاجته؛ فبذور الطمع، والتملك أينعت شوكًا، طالت وخزاته كل عزيز وغال؛ فأطماع حكام العراق، وساسته ـ هم أيضًا- أودت في نهاية المآل لكل تلك الأحداث المأساوية، التي لا يزال العراقي يعيش تبعاتها حتى هذه اللحظات.

قدم الروائيون العراقيون صورًا متنوعة لـ" العنف " بالعراق، وخاصة في الروايات الصادرة في الفترة من: 1990م وحتى: 2011م، وقد لوحظ تكثيف المبدع العراقي في سرده

([21]) المصدر السابق: صـ 84، صـ85.

على عنف الحصار وتداعياته، إزاء عنف النظام العراقي السابق، والعنف الأمريكي في العراق، وانتهاكاته؛ وقد عكست الروايات العراقية الصادرة في فترة التسعينات صورة حية لعراق الحصار، ومعاناة العراقي المعيشية، وتضحياته في سبيل الحصول على ما يعينه على الحياة يومًا بيوم، وقد ظهرت تلك القضية في رواية: (غايب)، (مقامة الكيروسين)، (مجانين بوكا)، و(أموات بغداد).

لقد شهد (العراق) في تلك السنوات العصيبة أعمال (عنف) وتخريب من قبل أمريكا، وقوات التحالف الدولية، عقابًا للعراق على غزوه لـ "الكويت"، وامتلاكه أسلحة الدمار الشامل ـ كما أشاعت أمريكا- فألقت ومن معها من قوات تحالف دولي بصواريخها، وقذائفها على شعب العراق، وجريمة قصف " ملجأ العامرية "، في 13 فبراير 1991م واحدة من جرائم عنف، وانتهاكات أمريكا في العراق زمن الحصار الدولي، وقد تعللت قوات التحالف الدولية ـ فيما بعد ـ بقصفها الخطأ للملجأ بأن المقصود "مراكز قيادية عراقية "، وقد كان " ملجأ العامرية " وقتها مخصصًا لاحتماء العراقيين القاطنين في تلك المنطقة (العامرية)، مجهزًا ببعض التجهيزات المعينة على الحياة لبعض الوقت، وقد راح ضحية ذلك القصف " أكثر من أربعمائة مواطن، من رجال ونساء، وأطفال. أم علي، لقد قصفوا ملجأ العامرية في الساعة الرابعة والنصف بعد منتصف الليل، قذيفة الليزر نسفت بوابة حديدية ثقلها ستة أطنان، تبخر الجالسون بفعل حرارة بلغت درجتها عدة آلاف درجة ولدها الانفجار"[22]، ولم تتوقف جرائم قوات التحالف الدولي آنذاك عند حد قصف " ملجأ العامرية " فقط، بل تعددت تلك الجرائم، بصور مختلفة، متكررة، من ذلك قصف مدينة " البصرة "، ففي " بداية الحرب قتل الكثير في منازلهم، والكثير من الأهالي مات مختنقًا بسحابات الدخان، لقد غطى التلوث في هذا الموقع وحده أكثر من ميل مربع ونصف، فقضى على النباتات، والحيوانات، متسربًا إلى المياه الجوفية "[23]، وقد آثر الروائي العراقي (التسجيل التقريري) في رصده لتلك الأحداث الدامية، معتمدًا في ذلك على بيانات عسكرية، أو صحفية؛ تمكنه من رصد أعمال العنف بشكل رقمي، إحصائي يسهل على الذاكرة الاحتفاظ به، واستدعاءه وقت الحاجة، لذا يلاحظ ورود مثل تلك الأحداث في الإبداعات الروائية بشكل سريع، مقتصر، مكثف وموجز.

أما " العنف " السلطوي العراقي فقد اتصف بـ (السرد التفصيلي) الدقيق، يستدعي الراوي من خلاله لأحداث، ووقائع عايشها الكثير من أبناء العراق أولًا، ويخاطب بها الأجيال التي جاءت لاحقًا بعد تلك الأحداث ثانيًا، يسرد عليها ماضيها الذي لم تعشه، مطالبًا إياها بحفظ ذلك التاريخ من الضياع والشتات. والعنف في العراق يتصف بأنه " ذو أبعاد اجتماعية، بنيوية تتصل بالمستوى الثقافي، والفكري للجماعة لا بالأفراد "[24]، ومن بين تلك المشاهد العنيفة التي استدعتها الذاكرة الروائية مشهد دفن " باص صغير" ضمن أحداث رواية "مقامة الكيروسين"، فيسرد السارد هذا الحدث وصفًا مسهبًا، قائلًا:

" في يوم ليس ببعيد عن تلك الأيام حَملت برقية للكائن السماوي شخصيًا خبرًا مفاده أن ثلة من أعداء الثورة تحدوا الحظر غير المعلن على زيارة قبر أحد أولياء الله

([22]) غايب : صـ 40.

([23]) المصدر السابق :صـ 68.

([24]) عبد جاسم الساعدي : العنف السياسي في السرد القصصي العراقي، دار فضاءات، عمّان، الطبعة الأولى، 2013م، صـ57.

الصالحين..لماذا الحظر؟ هذا ليس مهمًا الآن، المهم جاء جواب الكائن السماوي سؤالًا: ما عددهم؟ فأبرق الجواب يقول: عددهم ليس كبيرًا سيدي ..لا يتجاوز عدد ركاب باص صغير، والباص الآن في طريق عودته من الزيارة، فتشيع على الفور أثير البلد بالزمجرة البهية الخالدة في أدبيات الحزب والدولة، تلك التي لا يخطئها حتى أكثر العناصر الأمنية غباء بعد سماعها وعلى الفور أيضًا تولى القائد الميداني الأمر: أوقف الباص في نقطة من الطريق جرداء أرضها، لا شهود فيها سوى أسراب من الملائكة كن يخطرن عرضًا، ثم صدرت الأوامر واضحة: لا أحد يهبط من الباص، ولمزيد من الاطمئنان أحكم غلق أبواب الباص بحبال غليظة، وإذ فرغ المكلفون بإحكام غلق الأبواب من واجبهم المقدس، زأر محرك الجرافة المرافقة للموكب الأمني تحفر حفرة تكفي لإخفاء باص صغير عن أعين كل من يقف على وجه الأرض، وبالإشارة أومأ القائد الميداني لسائق الباص أن قد باصك إلى داخل الحفرة، ومن حسن حظ القائد كان السائق لبيبًا يفهم الإشارة وإلا لأضطر الأول إلى فتح باب السائق على الأقل لكي يفهمه ماذا يقصد الإجراء الذي كان سيؤخر إنفاذ الواجب ربع ساعة في الأقل .....الجرافة ابتدأت فعلًا بردم الحفرة، وكان مصور يجلس لصق سائق الجرافة يصور من عليائه تلك اللحظة "[25].

وصف النص السابق عملية إيقاف (الباص)، وردمه وصفًا دقيقًا، سينمائيًا، فحدد السارد أولًا كيفية إبلاغ (الكائن السماوي) بخبر الباص، وحدد أداة التبليغ بـ"البرقية" ،كما تم تحديد الفئة (المتمردة)، وعددها؛ ولم يذكر السارد مذهبهم، لكنه ألمح إليهم من خلال الفعل الذي قاموا به، وهو (زيارة قبر أحد أولياء الله الصالحين) مُصدّرًا وصفهم بـ" أعداء الثورة "، والعدد محدد بـ" ليس كبيرًا سيدي لا يتجاوز عدد ركاب باص صغير"، وتولى السارد – كذلك – وصف عمليتى التحفظ على (الباص) وردمه وصفًا (محكمًا) بـ "حبال غليظة "، وقياس مدى اتساع الحفرة وملاءمتها لحيز(الباص)، وإن دلت تلك الدقة الوصفية من قِبَل السارد\ الروائي فإنما تدل على مدى حرصه الكامل على نقل معالم المشهد المأساوي نقلًا حرفيًا؛ ليوثق من خلال عمله الإبداعي تاريخ العراق، وخاصة تلك التي تزاحمت بعضها فوق بعض، وذلك حفظًا لها من الضياع والتلف، فإن أتلفت سجلات التاريخ الحديث، ومُحت أحداثها، فسوف يظل الفن باق ببقاء مصداقيته وأمانة نقله.

وفي الرواية نفسها يتعرض الروائي لحادث الدجيل[26]، وكيفية تعامل السلطة الحاكمة مع مجموعة أفراد تسكن قرية صغيرة، حاول بعضهم الانشقاق، واغتيال رئيس النظام، فكان العقاب

([25]) طه حامد الشبيب:مقامة الكيروسين، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، 2008، صـ 145، صـ146

([26]) كانت قرية(الدجيل) مسرحًا لقضية (الدجيل) عام 1982م, والتي حوكم (صدام حسين) وأعدم على إثرها عام 2006م, وتعد أحد مراكز القوة بحزب الدعوة الإسلامية الذى كان يعد حزبًا محظورًا في الثمانينيات، أثناء وقوع عملية الاغتيال الفاشلة في 8 يوليو 1982م , وتعود تلك الأحداث حينما قام الرئيس السابق (صدام حسين) – في خضم حرب الخليج الأولى- بزيارة البلدة, وأثناء مرور موكبه تعرض لإطلاقات نارية, قام بها بعض أعضاء حزب الدعوة الإسلامية, وتم تبادل إطلاق النيران بين أعضاء الحزب وحماية الرئيس السابق ، وبعد محاولة الاغتيال الفاشلة، وحسب إفادة الشهود والمشتكين، قامت قوات عسكرية بأمر مباشر من الرئيس السابق (صدام حسين) بعمليات قتل, ودهم, واعتقال, قتل وأعدم خلالها 1,500 من سكان البلدة الذين تم نقلهم لسجن العاصمة (بغداد)، ومنه إلى معتقل (ليا) في صحراء محافظة (المثنى), وتعرضوا خلال تلك الفترة -

جماعي، ويرى (هربرت ماركيوز)[27]" أن الفئات التي تنخرط في العنف هى تلك الجماعات التي تعيش على هامش النظام، أي التي تخضع بصورة كاملة لآلياته، وهى تلك الجماعات التي سوف تمتلك القدرة على المواجهة للإطاحة بآليات القهر والسلطة"[28]، وفي هذه الحادثة تتعرض قرية (الدجيل) ـ التي فشلت بها عملية الاغتيال- لأبشع صور التعذيب، والإبادة لكل ما هو حي، يتنفس، ويصف السارد إحدى عمليات تعذيب المعتقلين بمبنى المخابرات العامة إثر تلك الحادثة، فيقول:

" بعد أول صفعتين متلاحقتين من يمين الضابط ويسراه وجد حسين حمد نفسه يتهالك إلى الأرض، ويتكور؛ إذ حشر رأسه بين ساقيه المنثنيتين، الملتصقتين بصدره وشبك ذراعيه فوق هذا التكوين وطفق متوسلًا...الله يخلي أولادك أستاذ...إن شاء الله ما يخدوهم الشرطة ويضربوهم...لا تضربني أستاذ الله يذبني بالنار إذا أكذب ....شلون تريدني أكذب... أستاذ الله يخليك ما أعرف أكذب، فكفت يدا الضابط عن الصفع لتتولى قدماه الأمر، فصار يركله، يركل الكرة وهو يصرخ بصوت أقرب إلى العواء: ما تعرف تكذب ابن.....؟ تعلّم...تعلّم ابن الزنا تعلم، بعد هذه الكلمات وربما بعدها بالذات إنهار التكوين الجنيني، فلم تعد الكرة كرة، فلقد أخذ بجسد الصبي تشنج بُغت الضابط وطاقمه: امتدت ساقاه على طولهما وانخرطتا ترتجفان مثل سعفتين تمسك بهما ريح مجنونة، وانقذف جذعه ورأسه إلى الوراء تهزهما الريح ذاتها، بينما انتشت ذراعاه إلى أعلى، وانقبضت كفاه تضغطان بعنف على راحتيهما كأنهما تضغطان على عنق اليوم الذي وُلد فيه، وفي ثوان طفح زبدٌ على جانبي فمه، ثم...ثم...أقلعت الريح ومعها أقلع وعي الصغير تاركًا وراءه جسدًا مهددًا يغط في نوم عميق" [29].

حينما قررت أمريكا دخول العراق، وأعلنت أسبابها للعالم كله مبررة دخولها إياه، كان أحد تلك الأسباب (المعلنة) القضاء على الديكتاتورية التي انغمس بها الشعب الشعب العراقي، وعانى ويلاتها؛ لينعم العراقي بحريته التي سُلبت منه منذ عقود، دخلت أمريكا العراق حاملة على أعناقها شعار(الحرية) "وتعد أقسى أنواع الهيمنة تلك التي تتم تحت شعار "الحرية "، إننا أمام أحد أقنعة " الهيمنة " المحكمة، التي يكون الإنسان فيها مقهورًا، في الوقت الذي يبدو فيه حرًا"[30]، لكن سرعان ما أسقطت أمريكا قناعها، وظهرت بوجهها الحقيقي، طامعة فيما يملكه العراق من نفط، وثروات أخرى خُطط لاستغلالها، والهيمنة عليها جيدًا.

وفي إطار تلك الخطة الموضوعة، المحسوبة بدقة من قبل أمريكا لفرض هيمنتها على العراق، وأهله تعاملت القوات المحتلة للعراق مع العراقيين بعنف، وعدائية؛ محاولة ترويض ذلك الشعب الذي وقع ضحية الحرية المزعومة، ومن أكثر صور (العنف) انتشارًا وذيوعًا كانت الزج بالعراقيين في معتقلات مصنوعة بأيد أمريكية خالصة، عُوقب بها كل من سوّلت له نفسه بمعاداة النظام (الجديد)، أو الاعتراض على أحد قراراته، و(بوكا) أحد أهم تلك المعتقلات التي صنعها الاحتلال في العراق" لم يكن ذلك المعتقل عاديًا مثل بقية المعتقلات، بل أقيم مؤقتًا من الخيام،

حسب شهاداتهم– لأقسى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي, وبعد ذلك تم إصدار قرار بتدمير وتجريف ما يقارب من 1000 كم من الأراضي الزراعية والبساتين المثمرة.

[27] فيلسوف، ومفكر ألماني (1898م-1979م).

([28]) قيس هادي أحمد: الإنسان المعاصر عند هربرت ماركيوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1989م، صـ 145.

([29]) مقامة الكيروسين : ص81، ص89.

([30]) محمد السيد إسماعيل: الرواية والسلطة (بحث في طبيعة العلاقة الجمالية)، القاهرة، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998،ص 109.

والكارفانات، والكامبات، وأكياس الرمل، والأسلاك الشائكة، والحاويات الحديدية؛ لذا يستحيل عليّ أن أحدد المكان في صحراء مترامية الأطراف، تتيه فيها حتى الجمال العملاقة، وخبراء الصحراء والمهربون المحترفون، وصيادو الصقور، فكيف بنا نحن البسطاء؟ "[31] .

(بوكا) معتقل كبير، تدور فيه أحداث رواية (مجانين بوكا)، قدم فيها (شاكر نوري)[32] مشاهد عنف دموية متنوعة، ابتكرتها القوات الأمريكية في استجوابها، وعقابها للمعتقلين الذين لا ذنب سوى أنهم أبناء هذه الأرض، تفنن الخيال الأمريكي في تعامله مع العراقيين، وابتكر كل ما هو جديد في عالم الاستجوابات، وفي الفقرة القادمة يستعرض سارد الرواية (العنف) الأمريكي تجاه العراقي :

" ولم يكونوا يترددون في عرض وحشية كلابهم أمام السجناء من أجل تخويفهم أكثر فأكثر، فهى الخطة الأولى التي يبثون فيها الرعب في قلوبنا، وقبل أيام قاموا بنصب حلبة وسط الكارفانات، وجاؤوا بكلب شهير بوحشيته، وأطلقوه على غزال صادوه في الصحراء، فأكله الكلب وهو حي، وراح يلعق عظامه، وهناك كلب أكل نصف وجه أحد المعتقلين، وعظام وجهه بارزة دون خد، عندما وضعوا هذا الكلب معه في (البوكس) عقوبة قصوى أن يوضع السجين (البوكس) ومعه الكلاب، هو وحظه ، فإن أية حركة منه تثير الكلب، وتعرضه للهجوم عليه!!! كان على السجين أن يتكيف مع غرائز الكلب، ويحرص على عدم إثارته، ومن أجل أن يجعلوا كلابهم متوحشة، يقوم الجنود المدربون بربط كلابهم ومنعها من الأكل لمدة ثلاثة أيام، وينهالون عليها بالضرب، ورشها بالماء البارد، فلا يولد كلب متوحشًا، بل يكتسب غريزة التوحش من المدربين، وهم يعرفون أن لا حل للكلب المتوحش إلا قتله، لكنهم يعتبرونه من أفضل كلابهم، وبدلًا من قتله يفكون رباطه ويطلقونه بين الكرافانات؛ لبث الذعر بين المعتقلين، وخصوصًا في أوقات الصلاة، وهم يعرفون ماذا تعنيه نجاسة الكلب عند العرب والمسلمين"[33].

استعرض السارد في النص السابق أساليب التعذيب الوحشية، الممارسة من قبل المحتل الأمريكي، ومن معه تجاه العراقيين، تلك الوحشية التي لم تقتصر ممارستها على (الأمريكي) – فقط – بل تجاوز مداها ليدخل العنصر (الحيواني)-أيضًا- في تلك الممارسات المهينة، فهى مُعدة، ومُدربة تدريبًا جيدًا حول طرق تعذيب(الآخرين)، ولا سبيل للعراقي (المعتقل) سوى الانصياع لتلك الأوامر الأمريكية.

وقد يُمارس (العنف) من قبل المحتل الأمريكي تجاه العراقي دون ما يبرر ممارسته، فهو عنف للعنف، يمارسه الأمريكي بـ (ميكانيكية)، وآلية، مثلما حدث مع المرأة (المتوفاة) في رواية (أموات بغداد) لصاحبها (جمال حسين علي) [34] ، يقول السارد:

" ولم يكن تخلي المفتشون عن الأحزمة الناسفة في بطون الأطفال الجياع والنحيلين للغاية والمتصببين بردًا، مهارة استدلال، ولا شفقة حلت متأخرة، بقدر تعلقهم في لغز الكتلة البشرية

([31]) شاكر نوري: مجانين بوكا، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2011، صـ15

([32]) شاكر نوري: كاتب وإعلامي عراقي مغترب، عمل في التدريس والصحافة، حاصل على شهادة البكالريوس والماجستير في اللغة الإنجليزية وآدابها من جامعة بغداد عام 1972م، وشهادة الماجستير في الإعلام من باريس 1979م، والدكتوراه في السينما والمسرح من جامعة السربون ببارس عام 1972م.

([33]) مجانين بوكا: صـ308، صـ309 .

([34]) جمال حسين علي : كاتب، وصحفي عراقي، ومراسل حربي، ولد بمدينة البصرة بالعراق، حاصل على الدكتوراه في الفيزياء من جامعة موسكو عام 1993م، له أربع روايات، وهى: صيف في الجنوب 1983م، رواية الفنارات، ورواية التؤام في الثمانينيات ـ أيضًا ـ ورواية أموات بغداد عام 2008م، وله ثلاث مجموعات قصصية، وهى: ظل متبخر، و الضريح الحي، والتويجات.(لم أتمكن من العثور على زمنية النشر).

السوداء التي رفضت الانصياع لمكبر الصوت وبقيت جالسة في السيارة بتمعنها الشديد النظرة وعدم ميل رأسها لغاية تفجيره بسلسلة رصاصات، وإنها في جلستها تلك تخلت عن مقاومتها للموت، وإن كان لابد من منحها بعض الوقت لتخاف، ولكي تتفهم اللحظات التي تسبق الموتى وما عليها تجنبه من وخزاته الأولى، وسدة الثغرات المتاحة للنجاة بالزفير الأخير، الآن، زالت خشيتهم من الأجساد المطروحة على الأرض وركزوا أنوارهم الكاشفة على السيارة المجعدة بالثقوب والكتلة السوداء فيها التي بدأت تصغر وتنكمش على نفسها دون أن تقودهم إلى قطرة دم واحدة، إذ لم ينبعث شعور بالثقة من ميت كما كان يبدو على ما تبقى من ملامح الجدة التي ماتت مرتين في معركتين في يوم واحد"[35].

قدمت الفقرة السابقة أحد أنواع العنف الأمريكي غير المبرر، والذي لا يحمل في طياته سوى (الخوف) مما هو عراقي، قد يقابل سلوكياتهم الجنونية، العبثية بنوع من (المقاومة)،وهو ما جعلهم يقدمون على قتل (العجوز) مرتين، مرة حينما ألقت القوات الأمريكية قذائفها على دار المرأة، والثانية حين توهمت القوات الأمريكية عدم انصياع المرأة لأوامرها وقتما أمرها الجندي الأمريكي بالنزول من السيارة، ولم تستجب المرأة لذلك الأمر، وآثرت البقاء في صمتها الأبدي، ويمنح سارد الفقرة السابقة (المرأة العجوز) ملامح التحدي، والثبات، فيأبى السارد أن يحصل الأمريكي على مراده في إذلال شخصية عراقية، حتى وإن كانت تلك الشخصية (متوفاة)، ويبدو هذا جليًا في وصفه للعجوز بـ (رفضت الانصياع لمكبر الصوت)، (عدم ميل رأسها)، (دون أن تقودهم لقطرة دم واحدة)، (لم ينبعث شعور بالثقة من ميت كما كان يبدو على ما تبقى من ملامح الجدة)، وفي كل هذا إشارة واضحة لصمود العراقي، واعتداده بنفسه الذي لازمه حيًا، وميتًا.

3- قضية الصراع الحضاري:

تعد قضية الصراع الحضاري إحدى أهم القضايا التي نالت حظًا وافرًا من الكتابات الأدبية، الإبداعية؛ فمع اتساع الرقعة المكانية التي عُمِّرَتْ بالإنسان، وتشعب علاقاته بالمحيطين حوله نشأت الصراعات الإنسانية، وتعددت أنواعها، والحضاري، منها على وجه الخصوص استوقف عنده الروائيون؛ لينسجوا منه إبداعًا ارتبط بالواقع ومشكلاته، ولاقى ذلك الإبداع قبولًا واسعًا لدى المتلقين؛ وذلك لانفتاح الروايات التي تتناول قضية الصراع الحضاري على البيئة الغربية، ووصفها وصفًا استطاع أن يحمل المتلقي نحو عوالم أخرى بعيدة عنه، عابرًا محيطاتها، وأنهارها، وصحاريها بجناح الخيال.

وقد حدد ابن منظور الجذر اللغوي للصراع في معجم لسان العرب قائلًا:

" الصرع: الطرح بالأرض، وخصه في التهذيب بالإنسان صارعهُ صرعًا وصِرعًا، فهو مصروع وصريع، والجمع: صرعى، والمصارعة والصراع معالجتهما أيهما يصرع صاحبه، والصرع علة معروفة، والصريع: المجنون، ومصارع القوم حيث قُتلوا، وفي الحديث: الصُرعة (بضم الصاد وفتح الراء مثل الهمزة، الرجل الحليم عند الغضب، وهو المبالغ في الصراع الذي لا يُغلب"[36].

أتاحت ظروف العراق الفرصة للعراقي، أن يتعرف على حضارات، وبلدان لم يسمع عنها من قبل ولم يقرأ؛ ففراره من جحيم الحصار الدولي، وعيون النظام السابق التي ترصدت كل من يخالفها الرأي جعلاه يلجأ لخيار الأوطان البديلة، والسعي نحو التجنس بجنسياتها، فكانت الفرصة

---

[35] جمال حسين علي: أموات بغداد، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، صـ143.

([36]) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث، مكتبة دار الجيل، بيروت، 1988، صـ 430.

مواتية له لرصد اللقاء الحضاري في إبداعه الأدبي، وتضمين ذلك الرصد لوجهة نظر العراقي- إيجابية كانت أم سلبية- كل حسب تجربته التي عايشها، وقد اتصف اللقاء الحضاري بين الذات المبدعة (العراقية)الشرقية، والذات الأخرى الغربية في الرواية العراقية لتلك الفترة الزمنية(1990-2011م) بصفة (الصراع)، صراع الفكر، والمبدأ، والتوجه، والهوية، والمذهب؛ وقد يعود السبب في ذلك للحالةِ النفسية التي صاحبت العراقي المهاجر لأوطان بديلة، ومحاولةِ مد جذوره في أرض ليست أرضه، كذلك الفرار والهجرة لبلاد غريبة عنه اسمًا وأرضًا، ولقائِه – آنذاك- بشخصيات أثرت سلبًا على نظرته للحضارة الغربية، وأصحابها، وليس معنى ذلك حكر قضية (الصراع الحضاري) على روائيّ المهجر فقط؛ فقد أبدع روائيو العراق داخل عراقهم، وعبروا أيّما تعبير عن الصراع الحضاري بصورة عميقة، حية؛ نتيجة اللقاء المباشر لهم مع أصحاب الحضارات الأخرى، التي هبطت عليهم في العام 2003م بغزو الغرب لهم.

ومن روائيّ تلك الفترة الزمنية (1990-2011م) الذين تناولوا قضية (الصراع الحضاري) في رواياتهم: الروائي (زهير الهيتي[37]) في روايته (الغبار الأمريكي)، والذي اتخذ من موضوع (الصراع الحضاري) محورًا لها، من خلال شخصية (فاطمة) بطلة الرواية، التي جمعتها الصدفة بعدة شخصيات أجنبية كانت الحرب على العراق السبب الأول لوجودهم به.

تنفتح رواية (الغبار الأمريكي) على استعداد (فاطمة) للخروج، وتزينها من أجل لقاء العمل المنتظر في المنطقة الخضراء التي سكنها الغازون الجدد، وقد شغل هذا اللقاء حيزًا كبيرًا من اهتمام الفتاة " فاليوم لدى موعد مهم لعله الأهم في حياتي حتى الآن، وربما سيغير مسارها إلى الأبد، لقد تلقيت قبل يومين اتصالًا هاتفيًا من سكرتيرة تعمل لدى منظمة الإغاثة الدولية التابعة للأمم المتحدة، تخبرني فيه أنهم قد وافقوا على طلب التعيين الذي تقدمت به إليهم، كدت أطير من الفرح"[38]، استطاع هذا اللقاء أن يغير ملامح الحاضر لـ (فاطمة)، ومستقبلها؛ وذلك بعد خروجها من مقابلة العمل، وتعرضها لمحاولة (خطف) من قبل مجهولين، باءت بالفشل، بعدما استطاع أحد الأجانب حمايتها من الأذى المحقق الذى كادت تتعرض له، (جوزيبة) إيطالي الجنسية كان أول تلك الشخصيات الأجنبية التي تعرفت عليها (فاطمة)، أنقذها من محاولة الخطف، وقبض الثمن من جسدها، وشرفها، مستسلمة له، واصفة إياه بـالقدر " أشياء كثيرة حدثت لي وإن كنت غير قادرة على تحديدها وتسميتها؛ شيء واحد أنا متأكدة منه، إنه قدري، وقبله كنت بلا قدر، لا يهم الآن هل كان هذا القدر سلبيًا أم ايجابيًا، لكنه قدري أنا، وأنا فرحة به!! قبله كنت شيئًا ما كائنًا، أما الآن فأنا أنثى ولدت على فراش الأمس!!"[39].

استطاعت شخصية (جوزيبة)- إيطالي الجنسية- تحويل مسار شخصية (فاطمة)؛ بعدما انتزعها من أيدي خاطفيها، واستباحته لها، عاشت (فاطمة) مع (جوزيبة) في منزل سطا علية الثاني، بعدما تركه أصحابه فارين من العراق بعد الغزو الأمريكي له، ويمكن وصف العلاقة التي حدثت بين الشخصيتين العربية والغربية بــ (اللقاء الاستعماري)، استعمر من خلاله (جوزيبة) جسد (فاطمة)، آخذًا حصته منها مقابل حمايته لها، فبدا اللقاء في أوله عاطفيًا، لكنه حمل في طياته رغبة الإيطالي (الغربي) في فرض هيمنته على الجسد الشرقي متمثلًا في شخصية (فاطمة)، وكان له ما أراد.

([37]) زهير الهيتي : كاتب وصحفي عراقي، مقيم في ألمانيا، له إصدارات روائية، إبداعية، وهى: يومي البعيد، والغبار الأمريكي، وله دراسة بعنوان "صورة العراقي في الرواية العربية".

([38]) زهير الهيتي: الغبار الأمريكي، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2009م، صـ10.

([39]) الغبار الأمريكي : صـ80

تتوالى الأحداث وتقرر (فاطمة) عدم العودة ثانيةً لمنزلها، حيث أمها التي تجلس وحيدةً منتظرة إياها، وخلال تلك الفترة يحضر إلى المنزل شخصية (غربية) أخرى، تحمل داخلها روافد، وجذور حضارة أخرى، (لوران) فرنسي الجنسية، الذي أخذ نصيبه – هو الآخر- من جسد (فاطمة)، بعلم صديقه (جوزيبة)، وبمباركته إياه، ودون أدنى مقاومة (فعلية) منها " لقد تخليت بكل جبن عن جسدي وتركته بلا حيلة لحيوان لا يمل "[40].

يُمتهمن جسد الفتاة (العربي) من قبل (الإيطالي) و(الفرنسي) في مبارزة قوية، تنتهي دائمًا جولاتها بفوز (الغربي) بالجسد (العربي)، إلى أن تظهر الشخصية الثالثة (جاك لوي) برازيلي الجنسية " فكرت في أول ليلة قضاها معنا بأنه سيطالب بحصته من جسدي المستباح للمرتزقة الذين يحملون أسماء وهمية، وقررت الامتناع عن ذلك مهما كلفني الأمر، لكنه لم يفعل لحسن الحظ "[41]، لم يفكر (جاك لوي) فيما فكر فيه سابقوه من السطو، والاستيلاء على جسد (فاطمة)، حتى إنه كان يتحاشى حديثه معها" وإن فعل كانت لا تخلو من الوقاحة والعنصرية"[42]، وتؤكد الساردة على عنصرية (جاك لوي) ثانية من خلال وصفه لذاته قائلًا:

" أنا اختصاص الدول العربية، استمتع بالعمل فيه "[43]، تدرك (فاطمة) جيدًا نظرة (جاك لوي) الحقيرة لها، وتعود تلك النظرة لذلك الصراع الحضاري المتوغل في الذات الغربية للأخرى (الشرقية) منذ القدم، وجملته ـ تلك- السابقة منحتها مبررًا للانتقام من ذلك المستعلي، تقول (فاطمة):

"كانت هذه الإجابة المصحوبة بابتسامة احتقار هى الشرارة التي فجّرت في نفسي رغبة الانتقام منه، كأني أنتظر هذه الإشارة من إله ما، شعرت أن فعل الانتقام منه هو البطاقة التي ستؤهلني للدخول النهائي إلى عالمهم، وإن لم أفعل سأبقى واقفة إلى الأبد بين عالمين، كلاهما يرفضني !! لكن ما يهمني الآن أن أجد مبررًا لكل هذه الكراهية التي تجتاحني، هل أنا غاضبة من عنصريته؟ هل أنا متعصبة لقوميتي التي لم أشعر بها يومًا؟ لماذا أكرهه وأتمنى موته؟ كان يكفي ربما أن أنصرف عندما يبدأ بسرد أقاصيصه العنصرية، ورغبته السادية التي يفخر هو بالتمتع بها، عن ذكرياته في الدول العربية مثل اليمن، وعمان، والكويت، والصومال، ولبنان، لكن أبقى مصغية إليه، وأنا أشعر بمازوخية لا تطاق، وكأني أنمي حقدي عليه، وأنا لا أدري إلى أين تقودني هذه الهيستريا العنصرية "[44].

تحمل الفقرة السابقة معاني الانتقام، والكراهية، والحقد من شخصية (فاطمة) العربية، تجاه (جاك لوي) الغربي، وقد وضعت (فاطمة) يدها على ما يبرر فعلها الانتقامي الذي سوف تُقدم عليه فيما بعد، فحاجز الاختلاف الحضاري القائم بين الذاتين العربية والغربية هو ما جعلهما متنافرين، حاقدين؛ لم يتقبل الغربي بحضارته، وفكره تلك (العربية) بحضارتها، وفكرها، فرفضه لها هو في الأساس رفض لحضارتها، ومنبتها، لذا تقدم (فاطمة) على قتله، والتخلص منه، ومن حضارته، وعنصريته التي يحملها في دمه، لكن محاولتها تبوء بالفشل، ويظل (جاك لوي) متعقبًا لـ (فاطمة) حتى آخر الرواية.

([40]) المصدر السابق : ص101.
([41]) الغبار الأمريكي : صـ124.
([42]) المصدر السابق : صـ127.
([43]) المصدر السابق: صـ131.
([44]) المصدر السابق: صـ131.

وفى رواية (كم بدت السماء قريبة) للروائية (بتول الخضيرى), تتعرض الروائية لقضية(الصراع الحضاري) بين الطبيب العراقي، وزوجه البريطانية، حيث إغراء العراقي للأجنبية بسحر الشرق وحضاراته, فتوافق على الارتباط به, بعد أن رأت الشرق بعينيه لا بعينيها, فتقول واصفة مشاعرها:

" ظننت المزارع هنا كما وصفها لى سحرًا شرقيًا ينحصر بين شروق وغروب حالمين من دخان بنفسجي أثيري لا يمكن تجاوز إغرائه، فإذا بها حر خانق يتسلق النخيل, ذباب في الصباح, بعوض في المساء, وصفير صراصير مجنحة تتقافز في غرفتي عند الفجر" [45] .

تحاول الزوجة جاهدة الانخراط في مجتمعها الجديد – مع تحفظها فى التعامل مع الجميع – لكنها تفشل, ويسيطر عليها الشعور بعدم الانتماء , وحين يتمكن منها ذلك الشعور تبدأ باتخاذ كافة الوسائل (الانفصالية) - عن تلك الحضارة الجديدة، الوافدة عليها- فتبذل كل طاقتها في الدفاع عن جنسها, وموطنها, وأصلها، فتبدأ أولًا فرض اللغة الانجليزية لغة رسمية للتحدث في المنزل مع ابنتها، وتنهر الفتاة إن فعلت غير هذا، وتحاول ثانية إبعاد ابنتها(نتاج اللقائين العربي بالغربي) عن صديقتها الريفية الفقيرة، وتعترف (الأم) الأجنبية في نهاية الرواية بوجود علاقة - سابقة- جمعتها بصديق إنجليزي خلال زواجها من زوجها العربي.

أما الطرف الآخر للعلاقة فبدأ هو(الآخر) بعمل أفعال (مضادة) يقابل بها أفعال زوجته الأجنبية، فانفصل عنها جسديًا، وأخذ يحث ابنته على الانخراط في عالم الفلاحين والفقراء، غير عابيء بتعليمات الأم للفتاة، وتحاول (الابنة) مسايرة الطرفين، وتحيا بروحين في جسد واحد؛ تذهب في الصباح لمدرسة الموسيقى والرقص التي اختارتها لها أمها، وتعمل ليلًا مع أبيها في صناعة العطور المستخلصة من الزهور العطرية، تدخل في علاقة غير شرعية مع صديقها الفرنسي (آرنو)، وحين تتفاجئ بحملها منه تقرر التخلص من الجنين " أردد كل ليلة سأصلح الخطأ قبل فوات الأوان لن استسلم كما فعلت هى، لابد أن أصلح الحال، ساعة أنتظر اتصاله حتى الانفجار باكية، وساعة أنتظر موعد العيادة لئلا يقنعني بالعدول عن القرار"[46].

وسرعان ما تتحول تلك العلاقة الاتصالية بين الحضارتين العربية والغربية إلى انفصالية (صراعية)، تنفصل معها مشاعر الابنة- كذلك- فترى ما لم تره من قبل في صديقها (الفرنسي)، والذي وصفته في آخر مشهد يجمع بينهما في الرواية بـــ" تركت خلفي في المقهى سحلية أخذت تتقمص دور خنزير"[47].

تخلصت (الابنة) من جنينها الذي حملت به من صديقها(الغربي)،ولم تنتظر مجيئه للدنيا، فنراها تسعى منذ البداية في إرضاء نزواتها، والدخول في علاقة محرمة مع ذلك (الفرنسي)، وحين تطورت العلاقة، وشعرت الفتاة بوجود ما يربطها بذلك (الغربي) في أحشائها تقرر التخلص من ذلك (الرباط)؛ الذي لم تُكِنّ لصاحبه منذ البداية أية مشاعر تجبرها على الاحتفاظ بجنينها منه، والعيش معه، ومع هذين النموذجين تؤكد الكاتبة (بتول الخضيري)على استحالة اللقاء بين الشرق والغرب، واستمراريته حتى النهاية، وإن حدث فمصير ذلك اللقاء هو (الفشل)، فلا تكفي المشاعر وحدها في توحيد أبناء الشعوب مختلفة الأصل، والعرق، والمنشأ.

---

[45] بتول الخضيري : كم بدت السماء قريبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، 2009م، ص 29 .

[46] المصدر السابق: ص 190

(3) المصدر السابق : ص198